طرائف:

فى الأدب والتاريخ والسياسة

« دار الحقوق إلى خاها المجتبى »

للأستاذ محمد حسين القار

أثار بنفسي انتخاب دولة خطيب الثورة الوطنية الأستاذ الزعيم إبراهيم عبد الهادى باشا رئيساً للهيأة السعدية الموقرة على أعقاب استشهاد زعيم النزاهة السفير السيوف الأبي الشريف النقراشي باشا عليه الرحمة والرضوان.

أثار بنفسي هذا الانتخاب ذكريات كريمة قديمة برغم ما أعانيه الآن من ظروف ملتوية، وأويقات عاتية، إذ عاد بذاكرتي إلى سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف، حينما كان الزعيم الجليل المغفور له سعد زغلول باشا فى دست الحكم واستصدر عفواً عن الرعيل الأول من المجاهدين الأحرار الذين كانوا بأكورة من حكم عليهم بالإعدام فى سبيل البلاد، واستبدل بعد بالإعدام السجن مدداً متفاوتة، وكان بمكان الرياسة منهم المرحوم المبرور رجل الوطنية الصامتة عبد الرحمن بك فهمى طيب الله ثراه، كما كان أبرزهم مكاناً وأنبههم شأناً خطيب الشباب الثوب إبراهيم أفندى عبد الهادى الطالب بالسنة الرابعة بمدرسة الحقوق السلطانية إذ ذاك.

خرج هذا الرعيل الأول من السجن على أثر استصدار العفو أطهاراً أبراراً، فاحتفت بهم مصر حكومة وشعباً، واحتشد لهم المصريون زمراً وأفراداً، وأقيمت لهم حفلة تكريم كبرى عرفت بحفلة تكريم المسجونين السياسيين، وألقيت فيها خريدة شوقية خالدة عرّج فيها أمير الشعراء أحمد شوقي بك الشاعر الخالد نضر الله ثراه على فتى الحقوق المجتبى إبراهيم أفندى عبد الهادى، فقد اختصه بذكر اسمه فى فريدته الشوقية دون سائر المسجونين المكرمين جميعاً.

ذلك أن الفتى الناهض إبراهيم عبد الهادى قد تقدم لترشيح نفسه، كما رشحته جدارته لرآسة لجنة شباب القاهرة والأقاليم التنفيذية العليا، وتقدم منافساً له فى تلك الرياسة حسن أفندى يمن النائب السابق والوفدى المعروف. ولكن الزعامة خطبت ود إبراهيم منذ فتائه، فقد اكتسح خصمه، وعما من قائمة انتخاب الرياسة اسمه ورسمه. وكان لمدرسة الحقوق فى أمثال تلك المعارك الانتخابية بين الشبيبة المتثقفة يد طولى وقدح مُعلّى، فوقف سوادها الأعظم، وجمهورها الأكرم، خلف إبراهيم خطيب الشباب الموهوب.

فأشاد بذلك أمير الشعراء وشدا، وغرد البلبل الصداح، فأسر الأفئدة، ونقع الصدى بسلسله العذب ودُرّه الفريد الذى يفنى الزمان ولا يفنى، ويبيد الدهر ولا يبيد.

وذلك فى قصيده الرائع الذى توّج به هامة حفل التكريم، والذى كان مطلعه ذلك النزل الرقيق الذى بلغ منتهى العذوبة وغاية الطلاوة والرواء:

بأبى وروحى الناغمات النشيدا	الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحْوَر فاتر	يذر الخلى من القلوب عميدا
الزاويات من السُّلاف محاجراً	الناهلات شوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائرا	الراتعات مع النسيم قدودا
أنبلن فى ذهب الأصيل ووشيه	ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا
يحسدن بالحدق الحواسد دُمية	كظباء وجرة مقلتين وجيدا
حوت الجمال فلو ذهبت تزيدُها	فى الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
لو مر بالوُلدان طيف جمالها	فى الخلد خروا ركعاً وسجودا
أشهى من العود المرنم منطقاً	وألذ من أوتاره تغريدا

وهنا انتقل انتقالا رائعاً، وتخلص من الغزل إلى السياسة تخلصاً بارعاً، إذ قال:

لو كنت سعداً مطلق السجناء لم	تطلق لساحر طرفها مصفودا
ما قصر الرؤساء عنه سعى له	سعد فكان موفقاً ورشيدا

وهكذا صار أمير الشعراء كما عهده الناس يتدفق بياناً وسحراً، فنوه فيما ساقه لنا من روائع آياته وخوالد بيناته بفتى الشباب المرتجى فى ذلك العهد إبراهيم عبد الهادى مشيراً إلى تبوئه مكان الزعامة من الشبيبة فى بيتين من أوابد الشعر وبدائع القريض حافلين بالإشادة والثناء. ذلك إذ قال:

دار الحقوق إلى خاها المجتبى	تلت الصنان وألفت الإنشيدا